مهرجان الهواة المسرحي الأوّل في سورية:

خطوة أولى خاسرة... نتمنى ألاّ تكون الأخيرة

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من يارا بدر:

أخيراً يدخل القطاع الخاص المجال المسرحي، هذا ما أعلنه الممثل والمخرج القدير «زيناتي قدسية»، في المؤتمر الصحافي الذي عقد مساء يوم الثلاثاء 2006/7/11 على مسرح اتحاد نقابات العمال بدمشق، باعتباره مديراً لـ«مهرجان الهواة المسرحي الأول في سورية». وحضر هذا المؤتمر كل من نضال صوّاف المدير العام لشركة «العين الثالثة» للإنتاج التي قامت برعاية هذا المهرجان، وأمينة عباس مسؤولة المتابعة الإعلامية، والأستاذ عبد المعين عبد المجيد مسؤول المسابقات والنشاطات العامة، وزيناتي قدسية المدير العام لهذا المهرجان الذي يستمر من 16/7ولغاية 24/7/2006.

وبدأ الأستاذ زيناتي حديثه بتوضيح أهميّة رعاية القطاع الخاص لهكذا مهرجان، فعلى الرغم من رعاية القطاع الخاص في سورية لبعض العروض المسرحية، إلا أنها أول مرة يتم التصدي فيها لرعاية مهرجان مسرحي كامل، وحول تسميته بمهرجان الهواة المسرحي الأول في سورية، على الرغم من أنّ سورية عرفت في مراحل سابقة من تاريخها المسرحي القصير نسبياً مهرجاناً للهواة المسرحيين بدأ من أواخر الستينات /1969ـ1970 في دمشق ومنها إلى حلب، وانطلق منه معظم نجوم المسرح الحاليين، وحتى بعض نجوم الشاشة الصغيرة، ومنهم الأستاذ زيناتي نفسه، إلا أنه وبعد أن أوقفت وزارة الثقافة دعمها له بحجة الأسباب المالية، فقد أصبح خاضعاً لمظلة شبيبة الثورة، وأصبح يُعرف باسم «مهرجان الشبيبة للمسرح».

واعتبر الأستاذ زيناتي أنّ هذا التصدي من قبل شركة «العين الثالثة» لقيام مثل هكذا مهرجان، نتيجة غياب المؤسسات الرسمية التابعة للدولة كوزارة الثقافة، أو اتحاد نقابات الفنانين بفروعها المختلفة المنتشرة في المحافظات السورية، عن وظيفتها المنوطة بها، هو خطوة جميلة، ستفتح بابا ذا طبيعة أخرى للتعامل مع المسرح. و«هذا المهرجان ليس مختلفاً عن باقي المهرجانات، إلا في بعض الحيثيات التي ستكشف فوارق لوجهة نظر القطاع الخاص في الفعاليات وبعض الترتيبات الإدارية».

كما اعترف الأستاذ زيناتي بفشل جولته على المحافظات مع الأستاذ نضال للعثور على تجمعات مسرحية سورية تدفع من جيبها الخاص لتنتج عرضها، فمعظم التجمعات تابعة لمؤسسات الدولة الرسمية على اختلافها، وبالتالي تدعمها الدولة من ناحية الإنتاج.

وإن وجدت بعض النذر القليلة كفرقة «الرصيف» للأستاذ «حكيم مرزوقي» التي ستتواجد في المهرجان بعرضها «حلم ليلة عيد»، وبعض الفرق الأخرى التي اعتذرت لعدم جاهزيتها للعرض في وقت المهرجان.

كما اعتذرت بعض الدول العربية كالعراق عن إرسال عروض مسرحية للعرض لما أسمته أسباباً فنية !! ولم تتمكن إدارة المهرجان من تلبية الشروط المادية للفرقة التونسية، فاكتفى المهرجان بعيده الأول باستضافة العرض الأردني «الجوكر» كضيف عليه.

آخر النقاط التي تحدث بشأنها الأستاذ زيناتي، كانت ضرورة التمييز بين عروض هذا المهرجان الذي يرعاه القطاع الخاص وبين الفكرة السائدة عن عروض القطاع الخاص التي تعرف عادة باسم «التجارية» لاختلافها عن مستوى عروض المسرح القومي ووزارة الثقافة، «فشركة العين تنظر للعملية المسرحية كما تنظر المؤسسات الرسميّة، بدقة شديدة، وتميّز العروض ذات الأهداف الفكرية والجمالية العالية عن العروض ذات الأهداف التجارية».

إنّ جرأة شركة «العين الثالثة» وريادتها نابعة من همها للثقافة كإنتاج اجتماعي يُساهم في صناعته المجتمع عاماً، وهي بالتالي للجميع، لكل الذين ينتجونها، وليس لأحد حق ادعاء ملكيتها أو احتكارها، فالمجال مفتوح دائماً لكل مساهمة ولكل جديد يطرأ على هذا المشروع وصيرورته.

***

مُعظم الأسئلة التي طرحها الصحافيون الحاضرون تعلقت بحيثيات هذا الدعم، وأجاب عنها الأستاذ نضال وهو ممثل وهاوي مسرح، حاول في الإخراج كما الكتابة، لأنها هواية وليست احترافاً. وهو يعترف منذ البداية بخسارة هذا المهرجان على صعيد المردود المادي، لأن (50) ل.س ثمن تذكرة الدخول، لن يؤمن مع باقي المداخيل الصغيرة، تكاليف التغطية التي وصلت إلى حدود الـ (5) ملايين ل.س، برغم نجاح شركة «العين الثالثة» في تأمين «سبونسر» يتألف من (10) شركات راعية.

وأكدّ الأستاذ نضال أنّ المهرجان وإدارة شركة العين لا تتوقع أن يعود عليها هذا المهرجان في أعوامه الأولى بالمردود المادي العالي، ولهذا وضعت الشركة في حساباتها إمكانية الدعم رغم الخسارة المادية للدورات الأولى القادمة، وسيكون أساس نجاحها هو الثقة مع الشركات الراعية التي تعتمد الدعاية والإعلان بشكل رئيسي، ويرى نضال أنّ الدعم التجاري القائم على الإعلان والتسويق هو سمة عصرنا الحالي، وعلينا أن نجد المعادل بين الفن وتسويقه.

ويؤمّن المهرجان للعروض الفائزة جوائز مادية إلى جانب قابليتها للسفر والعرض في مختلف المحافظات السورية، وحتى للخارج إذا عُرض عليها. ولجنة تحكيم المهرجان تتألف من:

الناقد د. نبيل حفار ـ الممثلة مي سكاف ـ المسرحي الأردني غنام غنام ـ الممثل والمخرج جهاد سعد ـ السيد هشام كفارنة مدير المسرح القومي في سورية.

كما سيقدم المهرجان جوائز مالية للفائزين في مختلف المسابقات والأنشطة التي ستقام على هامش هذا المهرجان، ونذكر منها: مسابقة التقليد (تمثيل ـ صوت) ـ مسابقة المذيعين والمذيعات ـ مسابقة أفضل معلق ومعلقة رياضية ـ مسابقة لفن الرقص بمختلف أشكاله.

وسيحتفل المهرجان بتكريم خمسة من فناني المسرح الذين لطالما تناساهم المسرح القومي أو تناسى بعضهم على الأقل، وأخص بالذكر هنا الفنانة «أمل عمران» التي ستكرّم إلى جانب كل من الممثل القدير فايز قزق، والممثل عبد الرحمن أبو القاسم، والممثل الذي سرقه التلفزيون من عشق الخشبة العارية سلوم حداد، وأخيراً الممثل اللبناني أحمد الزين.

ومثل معظم المهرجانات المسرحية في العالم، ستقام على هامش المهرجان ندوة فكرية على مدار يومين تحت عنوان «المسرح في سورية تجربة وآفاق» سيشارك فيها كل من الأساتذة وليد إخلاصي وفرحان بلبل. هذا إلى جانب الندوات التي ستقام بعد العروض المسرحية لمناقشتها.

كما تمّ التنويه من قبل الصحافيين لضرورة تصوير هذه العروض وبثّها على شاشة التلفزيون العربي السوري، وحتى بيعها لقنوات أخرى إن لاقت عروضاً، أو على الأقل تصوير العروض الفائزة. حيث أنّ هكذا أمر خطير يتطلب الكثير من الإجراءات البيروقراطية في بلدنا، فقد وعد الأستاذ زيناتي بأنه سيحاول مكالمة وزير الإعلام بهذا الشأن وإرسال طلب رسمي لوزير الثقافة، وإن تعثرت الأمور لأسباب فنية أو تقنية، فسيعمل على أن تقوم شركة العين بإحضار مصورين مختصين وتصوير العروض الفائزة وتقديمها هدية للتلفزيون السوري لعرضها، وأهميّة هذا الأمر من التوثيق بداية إلى الانتشار والعرض أكثر من ناحية أخرى.

في الختام أحب أن أتوقف عند أحد التعليقات لواحد من ضيوف هذا المؤتمر الذي راهن على كون هذا المهرجان هو مهرجان لعروض هواة بطريقة محترفة، على العكس من واقع عروض مسرحنا القومي ووزارة الثقافة، التي هي عادةً عروض لفرق محترفة بطريقة هاوية.

إنّ الرهان هنا هو على هذه الطريقة الهاوية لمهرجان هواة يُقدّم عروضاً محترفة!! وهنا اكتفى الأستاذ زيناتي بالتأكيد على أنّ الفرق دقيق ووهمي لدرجة عالية ما بين المحترف والهاوي.

أما رهان شركة العين فهو على النجاح في تسويق هذا الاحتراف وجمالياته، ليس حصراً هذا العام، حيث يكفينا هذا العام امتلاك القدرة للتواجد في العام المقبل.

وهكذا لا نملك أكثر من الأمل في نجاح هذا المهرجان بتجاوز ما أوقفَ تجربة مهرجان دمشق المسرحي التي بدأت جميلة وانتهت بائسة.

ثلاث نساء حافيات على مسرح عشتار!

زياد خداش*

■ على موعد مع المسرح مرة اخرى، مع الحافة، مع التوتر، مع المطلق مع الحنين، مع المفتاح، في الطريق كنت اتساءل: بالمسرح فقط اخرج من الرماد، اعيش في النضارة، واتعرض لهزات تسلمني الى الحياة الاخرى الحقيقية الرابضة فينا كدلفين حزين ينتظر اعادته الى بحيرته التي جففتها حياتنا السطحية. سأعترف ان احد اسباب مشاهدتي للمسرحيات هو ليس فقط التوغل في ذاتي، بل استعادتي لثقتي بالفن والحياة ايضا، فكلما شاهدت مسرحية قفزت في داخلي جنية الثقة بالفن والابداع بكافة اشكاله، شددت روحي الى عشتار المسرح، ليضاء داخلي بثلاث عشتارات يلبسن الاسود وحافيات يمثلن ادوارا عن نساء معتقلات في اطر وقوالب ينتظرن بخوف وقلق نتائج مسابقة دولية لاختيار المرأة المثالية، المسرح ممارسة لانسانيتنا واحتفاء صاخب بقدرة ذهننا على الاكتشاف والمعرفة، ورغبات دفينة في التفرج على عجائب سلوكنا، وطرائف مشاعرنا، ثمة متعة في الاعتراف بالفضائح، متعة سرية تقبع في اقصى الاعماق: ان نمارس الاستغراب من انفسنا، وما يستتبع ذلك من تبريرات او ادانات او ندم او قرارات بالتعديل والتوقف. المسرح يعطينا المفتاح ولا دخل له بالطريقة التي ندخل بها الينا، ولا يكترث بما نفعل في غرفنا السرية، انه يقول لك بود او بشراسة او بغطرسة: هاك مفتاحك فادخل او لا تدخل، مت هناك او عش طويلا ارتكب اخطاء اخرى او توقف عن الخطأ، انظر تفاصيل ما تفعل سرا او لا تنظر. المسرح لا يسترد المفتاح، هو يقول لنا احتفظوا بمفتاحكم علكم يوما ما تحتاجون زيارتكم، لكننا وبفعل الحياة السريعة والسطحية التي نعيشها نضيع المفتاح في ضجيج مصالحنا اليومية ورغباتنا سريعة الانطفاء ونعود عاديين جدا تماما كالقبلة الصباحية السريعة التي نلصقها على خدود زوجاتنا صباحا، المسرح معشوقة سرية نحب زيارتها في الامسيات الممطرة هربا من العقلانية الفظيعة التي نعيشها مع اطفالنا وزوجاتنا وزملائنا في العمل، وهناك في بيت المعشوقة الجريئة نفاجأ بعشاق كثيرين هاربين الى القبلة المختلفة، ولا نزعل، لا نغار.

المسرح امرأة غريبة لا يغار عشاقها من بعضهم البعض، انها تجبرهم باتساعها، وقوتها وذكائها وطيبة قلبها وتوحشها على حب بعضهم البعض كأخوة، كزملاء قلب عاشق او رفاق ذهن يسأل باستمرار. نحن الفلسطينيين الذين ننام مبكرين الى احلامنا هربا من واقعنا نحتاج المسرح بقوة كما تحتاجه الشعوب المحتلة، كفلسطينيين ثمة علاقة خاصة بيننا وبين المسرح، انه ضروري لنحس بجمال العالم، وقدسية الحياة وهناء التفكير البريء البدائي الصافي تجاه الاشياء، بعد ان نكاد نفقد احساسنا الطبيعي بالجمال والشعر والحياة، وسط موت غير مفهوم يسكن مدننا ووطننا. نساء تحت الاضواء هو عنوان المسرحية التي ستسلمني مفتاح غرفتي السرية هذا المساء، وهي من تمثيل: فاتن خوري وميسا فلحا وبيان شبيب، واخراج ايمان عون، والتأليف جماعي.

كنت دائما اخاف من ضيق قاعة عشتار بسبب عقدة الاماكن الضيقة عندي، هذه المرة شعرت باتساع داخلي انساني، لم اعرف لماذا حتى الان، لكني اتوقع ان السبب هو مداخل الفكرة المثيرة التي تعالجها المسرحية، فقد اخذتني الى اماكن بعيدة، وهذا هو احد مهام العمل الفني، ان ينتزعنا من اماكننا الصغيرة والمكرورة الى فضاءات يانعة اخرى، فكرة المسرحية قتلت بحثا ومعالجة سواء عن طريق المسرح او الرواية او السينما او القصة او رقصات الباليه او الفن التشكيلي، وملخصها تمرد المرأة على الاطر التي تحجزها فيها المجتمعات الذكورية. لن اناقش هذه الفكرة لانها معروفة لكني ساناقش المداخل التي تم ابداعها لكشف ابعاد خفية في الفكرة او لايقاظ مشاعر غافية في خواصرنا، وارى ان العمل الفني يتجلى بقوة في اكتشاف مداخل جديدة للفكرة المطروقة، وليس في ابتكار الفكرة، فالموت مثلا فكرة مطروقة جدا وموجودة على الطريق وكتب عنها الكثير، لكن طريقة كتابة كل كاتب تختلف عن طرق الاخرين. محمود درويش حكى عن الموت حكايته الخاصة الجميلة في الجدارية، حسين البرغوثي حكى حكايته الخاصة ايضا، وهكذا لكل كاتب مداخله الخاصة التي تكون نسيج وحدها، لنفس الفكرة، المدخل لفكرة الوطن في ادب كنفاني ليس هو المدخل في ادب هنري مللر مثلا رغم غرابة المقارنة بين تجربتين مختلفتين تماما، في نساء تحت الاضواء، بدت الفكرة عادية تماما، وكدت اقول لنفسي: اذن نحن امام فكرة معروفة، لكني غيرت رأيي تماما بعد قليل، فقد توضحت المداخل: التوحد مع شخصيات تاريخية واسطورية وهذا مدخل مثير ويبعث على الهياج النفسي والانفعال ويستدعي الاثارة والقشعريرة، المدخل الجميل الاخر لهذه الفكرة العادية هو اكتشاف الغزالات الثلاث ان التحرر عبر المسرح هو الخلاص لهن، وهذا الاكتشاف يسلمنا الى حقيقة بنفسجية الرائحة والملمس واللون وهي: ضرورة المسرح كأداة للتحرر والمواجهة، مواجهة النفس اولا ثم مواجهة المحظورات، اداة للفرد لتحدي ذاته والتحديق في مصيره، او للمجتمع، لتحدي مخاطره المحيطة به، تتخبط النساء الثلاث في مواجهة حقيقة العالم بمطالبه وبمعاييره التافهة والظالمة مع حقيقة واقعهن الذي لا يستجيب لهذه المطالب، فيهربن الى التاريخ والاسطورة، لمزيد من الوهم ومزيد من الانفصال عن واقعهن المرفوض والمنبوذ والشاحب، لكن الخلل الكبير كان في عدم مقدرة التاريخ على حضن واسناد تجارب نساء وحيدات يعشن على حواف النهايات فهو نفسه يعاني من انكسارات وشروخات كبيرة وهو يفيض بالنساء الخاسرات والمطرودات كما سافو مثلا سيدة الجزيرة المحرمة، كما ان الاسطورة اعتذرت عن الاجابة على اسئلتهن، ليس فقرا فيها بل تحريضا لهن على البحث عن خلاصات اخرى، فكان اندلاع خشبة الخلاص في بحر الضياع: المسرح، لم يعجبني استخدام الاطر الخشبية فهي رموز مكشوفة لايضاح قولبة حياة النساء الثلاث، كان يمكن البحث عن رموز اخرى او على الاقل كان يجب عدم التلفظ بكلمة اطار نفسها فهي تتحدث عن نفسها، ونحن نعرف ماذا تعني هذه الاطر ولا نحتاج التوضيح، كما ان اظهار صورة المحكمين كان غير مقبول حسب وجهة نظري، كان يمكن جعلهم وحوشاً او اشخاصاً غامضين مزعجين، بطرق اخرى، انا لا ادعو الى الغموض المفتعل، بل الى مزيد من التعمق والذهاب الى تقنية الايحاء والتلميح وقول الاشياء وتصويرها بما لا يتلاءم مع معايير الحياة العادية، فنحن في مسرح وليس في مدرسة، والمسرح لا يتحمل الوضوح والتنظير والبصر القوي والتفاصيل الدقيقة، انه يختار الجوهري من الصورة حتى لو كان كلمة او خطوة او نفساً او تغيير شكل نظرة، الحوار لم يكن متلائما مع جمال وروعة المداخل وصديقي الكاتب وليد ابو بكر يوافقني الرأي بالتأكيد، فالحوار سطحي ويقول ما يجب ان يقال. على الحوار المسرحي حسب اعتقادي ان يتجه الى السماء الثامنة في اللغة، بمعنى ان يقول ما لا يجب ان يقال، ما لا ينتظر منه، فمثلا، سرعة اكتشاف النساء الثلاث لخلاصهن عبر المسرح لم تكن مقنعة، لم يمهد لذلك بمقدمات حوارية لغوية، او حتى بحركات جسدانية.

طاقات الممثلات الثلاث كانت مدهشة، فبيان شبيب هذه اللبؤة الصغيرة الجسورة، تمتلك مخزونا هائلا من القدرة على الحركة والايحاء، وانا افضلها على المسرح بكلام قليل، وهذا لا يعني ان الكلام في فمها غير مقنع مسرحيا، ابدا، لكني ارى ان درجة حبها وتحكمها بجسدها ومستوى طواعية جسدها لافكارها وهواجسها كممثلة يغنيها عن اي كلام او نطق، مطلوب منها ان لا تتورط في الانفعال كثيرا اثناء النطق، فهي تنسى نفسها احيانا وتنجرف الى صوت عال لا يتناسب مع المستوى المطلوب، اعتقد ان ما تحتاجه بيان هو نصوص مجنونة حتى تتطابق مع طاقتها الكبيرة جسدانيا وروحيا، فقد شاهدتها في مسرحية فقيرة مضمونا وشكلا هي صفد شاتيلا، وقد غطى فقر المضمون على موهبتها ولم يعطها مدى او مسافة للسطوع. بيان شبيب: هناك نصوص مسرحية تبحث عنك فانتظريها على مفرق حلم. فاتن خوري فنانة بالشكل والحركة والصوت، ملامح وجهها الحزين تعطيها حرية التعبير عن الحصار والوجع، ورغم ان حركتها الجسدانية لم تسعفها في ايصال بعض المعاني، الا ان ملامح نظراتها المعبرة والذكية اوصلتنا الى همها وعذابها بأقصر الطرق واكثرها تأثيرا. صاحبة اللكنة اللذيذة ميسا فلحا، فاضت علينا بعذوبة مكسورة، جسمها المسافر، كان خشبة خلاصها، الذي لجأت اليه نكاية في معايير السخيفين، احتضنها جسدها، ايما احتضان واقنعها بمعاييره الخاصة وقد رضيت هي به، اطارا طبيعيا لا مصنوعا من زيف وكذب، صوت ميسا الناعس الطفولي اضاف عذابا فوق عذاب، كما ان اختيارها لدور المهرج في النهاية كان طريفا وذكيا، فالتهريج هو لعبة الخاسرين الذين يبكون في الليل كثيرا وفي النهار يضحكون الناس.

كنا نحتاج الى موسيقى اخرى غير التي سمعنا، موسيقى تصهل فينا وتصعق صمتنا الداخلي، لا ادري ما المشكلة في ذلك، فالحزن والذهول والخوف والحصار والموت والتهريج والرقص والسخرية كل هذه المعاني في المسرحية كانت تحتاج موسيقى اخرى.

بصمات ايمان عون الاخراجية بدت واضحة فهي بصمات حزينة وهادئة وشفافة، هذه السيدة التي لا تتوقف عن رشق الاشياء والعالم بالابتسامات الجميلة، ذرفت على النساء الثلاث رؤيا الحزن والمرارة وثم الخلاص الحزين والمهزوم، حتى الخلاص كان مهزوما وكان أزمة. هذه هي رؤية ايمان الاخراجية وانا اتفق معها تماما، فالمسرحية انتهت باكتشاف المسرح كأداة تحرر لكنها لم تنته بعد فهناك فصل اخر اسمه فصل المواجهة لم يعرض بعد، فصل اختبار الخلاص.

ثلاث نساء تحت الاضواء مسرحية مفتوحة اذن، بانتظار ان نكملها نحن في ليلنا الفلسطيني الطويل المليء بالقذائف والشهداء. شكرا لعشتار التي انتجت كل هذا الجمال حتى لو كان ناقصا.

ومن قال انه ناقص ؟ قد اكون مخطئا فليست هناك اشياء نهائية في هذا العالم.

* كاتب من فلسطين

نصوص أدبية ودراسات في العدد الجديد من مجلة «الآطام»

فيصل عبد الحسن*

■ صدر العدد الخامس والعشرون من مجلة «الآطام» عن نادي المدينة المنورة الأدبي التي يشرف عليها الدكتورعبد الله عبد الرحيم عسيلان ويترأس تحريرها د. محمد العيد الخطراوي وقد جاءت توطئة العدد بقلم الشاعر عبد الحفيظ الشمري تحت عنوان (أدبنا.. مخاض بلا ولادة) وقد جاء في المقال: يدخل أدبنا المحلي هذه الأيام مرحلة جديدة من التحدي المعرفي الذي يتماس مع ما يمكن ان نزعمه من تجاذب بين فكرة الثقافة والأدب من خلال قنوات عديدة منها الأندية، والجمعيات والمنتديات، والصوالين الخاصة، والمشاركات العامة في الداخل والخارج.

وركز الشاعر في توطئته على ان حالة الأدب لا يمكن أن تزدهر وتتفاعل ما لم تكن ذات خصوصية واضحة متأصلة في بناء العلاقة مع المتلقي الذي ينشد الإبداع باعتباره حالة من التوهج الذاتي الذي يسترعي الاهتمام ويستميل الذائقة.

وقد ضم العدد إضمامة من إبداعات المبدعين العرب ففي الشعر كتب سعد البواري قصيدة بعنوان قصائد ومحمد حبيبي.. قصائد أحمد نجوى الملائك وخالد الأنشاصي..نهاراتنا لا تجيد الغناء ومحمد نجيم حروب البياض وفي باب دراسات ومقالات كتب مشتاق عباس معن.. سياسة التخلي والتحلي في الخطاب الروائي اليمني الحديث، وكتب عدنان الظاهر.. لوركا في شعر السياب والبياتي ودرويش وكتب كمال الرياحي تعبيرية الفنون البصرية والصحافة وكتب محمد ابو بكر الحب والايمان في مرآة التصوير الرومانسي. وفي باب ابداعات كتب أحمد الدويحي.. رحلة رقم 719 وكتبت شريفة الشملان.. الحديقة تطير، وكتب سعيد الأحمد..مدينتي تقتل الرجال وكتب العباس معافا... تحول. وفي باب متابعات كتب شعيب حليفي..العين والكحل ومحمد الدبيسي...قراءة في رواية فخاخ الرائحة وكتب ابراهيم الحجري صورة المرآة في تجربة ثريا العريض وتم اختيار قصيدة ليت شعري لابي قطيفة في باب مدينيات.

وقد أغنت «الآطام» في عددها الخامس والعشرين المكتبة العربية بإبداعات المبدعين من الخليج إلى المحيط في وحدة معرفية وإبداعية متكاملة في وقت أحوج ما يحتاجه المبدع العربي إلى واحة نقية الهواء وارفة الظل في ظل ظروف الكتابة والنشر الحالية في وطننا العربي.

* كاتب وصحافي عراقي يقيم في المغرب

ناصر الظاهري: شعر واشارات تاريخية وفكرية ومراوحة

بيروت ـ من جورج جحا

يتميز عمل الكاتب الاماراتي ناصر الظاهري الاخير الذي حمل عنوانا هو «الطائر بجناح ابعد منه» ووصف بعد هذا العنوان بانه «حكاية».. بكتابة شعرية موحية ومحركة وباشارات عديدة تاريخية وفكرية ودينية متنوعة تنم عن ثقافة واسعة وعميقة وجدية .. لكنه في الوقت نفسه يعكس سمة قد تسيء الى هذا كله وهي المراوحة في اجواء حالة واحدة او حالات متشابهة.

هذه المراوحة قد تجعل القارىء يشكو من هذه «الكثافة الجمالية» ويشعر بأن الكاتب الذي حمل اليه هذا الكلام الحلو قد أعاده وأعاده في حالات وصور متقاربة الى درجة ان هذه الحلاوة الزائدة قد تخلق شعورا بانتظار طويل وتساؤلا قد يكون التعبير الصحيح عنه هو «وماذا بعد» .. ليأتي بعد ذلك تكرار مشابه قد يؤدي الى شيء من الملل. ومما قد يضايق القارىء ايضا هو ان نسيجا شعريا من هذا النوع لا يستحق ان يقع قارئه في الملل. وعلى رغم كثير من العناصر القصصية في الكتاب ووصفه بأنه حكاية فهو اقرب الى الشعر اي انه من ذلك النثر المتفجر بالصور الشعرية والنبض الشعري حتى حيث يسعى الكاتب الى الكلام بنثرية تقارب الكتابة القصصية. انه سرعان ما يعود الى الغرق في لجج عالم شعري لا يفارقه. صحيح ان ما يعرف في هذه الايام بالتناص اي تداخل اجناس ادبية مختلفة وزوال الحدود بين نوع ادبي واخر قد يكفي ليشرح اعمالا كعمل الظاهري.. لكن المأخذ هنا على كتابة جيدة كعمل الظاهري ليس في تداخل انواع ادبية مختلفة فيه.. بل ذلك التكرار المضني او المراوحة لا في المكان او الزمن ـ وهما عند الظاهري متعددان كثيران ـ بل المراوحة في الحالة او الانتقال منها الى حالة هي توأم لها او شقيقة عادية في افضل الاحوال. ما يسميه الكاتب حكاية هو في الواقع كتابات شعرية متوترة حارة يربطها خيط خفيف يكاد لا يبدو للعيان ليحاول جعلها تنتظم في حكاية واحدة هي حكاية عمر وحياة. الا ان هذا الخيط كان في احيان كثيرة خفيا غير مرئي. صدر كتاب الظاهري عن دار «رياض الريس للكتب والنشر» في 166 صفحة من القطع المتوسط. يستهل الظاهري كتابه بشبه مقدمة عنوانها «في البدء وقبله» تتميز كسائر الاقسام بذلك النبض المتوتر القوي الذي يمضي وسط اجواء من الحنين والاسى راويا بلوعة ما يفترض ان يكون ذكريات طفولة غرست نفسها بعمق لا يمّحى في حياة صاحبها كلها. ويبدو الكتاب لنا مرة اشبه بسيرة ذاتية او متخيلة.. مكتوبة في ما يشبه مزيجا من الشعر والقصة وبلغة تصويرية حارة قادرة على التقاط اجواء اناس في مرحلة مضت.

قال «انا الراوي وهي صفة لم اطلبها يوما. هي الصدفة وحدها التي جعلت من هذا العاق وهو صغير يدوس على رأسي وقت مغرب. حينما غابت الشمس عن تلك البيوت الطينية التي تجاور بساتين النخيل ودخل الليل بأول ظلمته وصمته لا تسمع الا دق هاون القهوة المتقطع من بيت الى اخر او صراخ بعض الصبية وقت الكحل المسائي المجبرين عليه وخلت السكك من دبيب الاقدام».

ويضيف في مكان اخر وكأنه يتحدث عن هذا الجسد المصاب العاق لهذا الطفل الذي كان. يقول هنا كما في سائر الكتاب ملمحا في ومضات تحتاج الى ان يربط القارىء بعضها ببعض «وهكذا رضيت مجبرا ان اقبل الاختيار الاول في حياتي وخارج نواميسنا الارضية قابلا بأن اعيش الحياة القصيرة مع هذا العاق وأخدمه ما بقي حيا بعد ان فشلت اخر محاولاتي في القضاء عليه وتسخيره لخدمتي وشرور نفسي.. حين اعثرت به القدم وكان اللعينة في يوم كان فيه مكتمل الصحة ويحجل نحو اعوامه العشر».

سنوات مرت ورحلات حول العالم ومرويات تبقى دائما وسط غمامة وشبق الى الجنس الاخر وتجارب مختلفة وتمتع بكثير من متع الحياة وتمجيد لتلك اللذات التي يصعب الحصول عليها الا في الخارج وهو كثير السفر.

يعب من كل ذلك ثم يثوب الى ما غرس فيه من تراث وتربية شرقيين. انه هنا يذكرنا ببحار الشاعر خليل حاوي ودرويشه.

فلنستمع اليه يقول «كان اذا ما تعب استدعى ذلك الدرويش الصوفي الساكن في قاع راسه او تجاويف صدره» فيقول له «الخير لك ايها الشيخ المتفاني ان تفعل مثلما فعل ذلك البحار النرويجي.. حين لم يستطع الابحار ارسل سفينته حيث يشتهي وقلبها الى مطعم اسطوري يضج بالناس كل مساء فيما يدور هو كربان في عمر خريفي... يلاطف الطاولات ويحكي لهم عن قصص حقيقية ووهمية ومتخيلة ومع مرور الوقت لا تقدر ان تميز فيما بينها حتى من سمعوها من قبل او لم يسمعوها».

مصطلحات الادب غربيه وشرقيه وقديمه وحديثه.. والفلسفة وعلم النفس والتراثان الدينيان الاسلامي والمسيحي.. وقصص الجاهلية والاسلام ورموز عرفت خلالهما.. وغير ذلك.. يسيل عنده متدفقا وفي ربط بين الماضي والحاضر. ونجده احيانا يتنقل بين أجواء كأجواء المتصوفة كما في هذا العنوان الفرعي «بعد ثلاثة عشر عاما من الضجيج كان الصمت اخر كلام قلته».. وبين اجواء المدن الفاسقة الظالمة المنافقة ذات الوجهين كما في «ماذا يعتمل في بطن هذه المدينة» حيث يقول «تذهب في خدر وحذر الحريم كلما طلعت عليها شمس وقبل ان تعيب تكون ملابس الليل مضمخة بالعود ودهن العود وطيوب النساء والعيون تراقب المحرم اذا خرج لتعبّ في المحرّم... يا لهذه المدينة التي تقتنص العمال من على سقالاتهم تقتلهم بيوتاتها.. سياراتها..».

ويركز على النفاق وظلم المرأة وسحقها وادعاء التحرر «زينة الاولاد البنت. هكذا الحديث امام مكبرات الصوت او حين يثرثر مع الرفاق المثقفين يلوكون الكلمات الطنانة وسط سحب الدخان والكؤوس شبه الفارغة والنظرات الفحولية تجاه من يتسامرن معهم».

يضيف «اما هذه «الزينة» فكلها عورات وللناس اعين». وينتقل الى القول عن بطريركية من نوع ما «الاهل سلاطين منصبون لا تستطع خلعهم ولا يستطيعون هم العيش بدونك.. وبدون السطنة».

ونجده احيانا ينفجر مرارة ونقمة متحدثا عن كثرة «البروتوسيين» في اشارة الى بروتوس صديق يوليوس قيصر والذي اشترك في اغتياله.. وفي اشارة الى يوضاس الذي باع المسيح بفضة. يقول «ها هم احفاد بروتوس يعلنونها مع انغماس الخنجر الثلم.. لا لا تلتفت كي لا ترى وجوها قبلتها او عيونا رات ستر بيتك دعهم... دعهم الان يدقون فيه مساميرهم وليبتسم الواشي بأسنانه الصفر ذلك المختبيء في الركن المعتم وليفرح بقطع الفضة».

(رويترز)